

مشاكل الأطفال

بقلم السيدة زاهية مروزق

إليك أيتها الأم إن كنت تهتمين بتربية أطفالك . . إليك أيها الوالد إن كنت تحرص على مصلحة أولادك . . إليك أيتها الفتاة إن كنت تعدين نفسك لرسالة الأمومة ، اليكم جميعا أوجه حديثي هذا .

الطفل الصحيح البنية ، النشط ، المجتهد ، المطيع ، المرتب ، السعيد في حياته ، هو أمنية كل والد ووالدة . والمنازل مملوءة بالأطفال ، ولكن من أى نوع ؟ . هل من النوع الذى يعد حقيقة زينة الحياة الدنيا ؟ . . وهل سألت نفسك أيتها الأم إن كان طفلك يجتهدا أو كمولا ، عنيذا أو مطيعا ، هادئا أو غضوبيا ، شرسا أو خنوعا ، نابغا أو متأنحا ، صحيحا في جسمه وعقله أم طيلا ؟ . . وهل أنت نخورة بطفلك بين جيرانك ؟ وهل يصيح أن يقتدى به الأطفال ؟ . . وهل تعرفين حقيقة مركزك في تربية طفلك ، وهل أخفقت أو نجحت في تربيته ، وهل تعرفين كيف تقوين ما أعوج من أخلاقه أم قد تطرق اليأس إلى قلبك وأسلمت طفلك للقدر وتمثلت بالقول السائر " الولد المرعب من عند ربى " ؟ !

لقد تقدم العلم الحديث . ولم يترك لنا مجالا للخدس أو التخمين ، بل لحاقى حل مشكلات الحياة إلى الطرق العلمية الصحيحة والمنطق السليم . . وقد تعلمنا الآن أن تلجأ في حل مشاكل الأطفال — وهى أعقد مشاكل الحياة — إلى فهمهم وبحث ما يحيط بهم لا إلى ضربهم وإرهابهم .

من المعلوم أن الضرب في المنازل المصرية هو الوسيلة الوحيدة لتربية الأطفال ، وواجبنا نحن المربين أن نرشد الوالدين إلى ما يصلح لتربية الأطفال ، ونحذروهم مما يؤدي بهم إلى الضرر البالغ . وأول شئ نحذركم من عواقبه أيها الوالدون هو الضرب والإرهاب . فالضرب لا يصلح للطفل ، بل ينسبده ويزيد مشكلته تعقيدا . . الضرب له أسوأ الأثر في نفسية الطفل . فان لم يرب فيه العناد والحق على المجتمع فانه يربى فيه الخوف والجبن والكذب وربما أدى به إلى التشرد والإجرام . الضرب يقتل في الطفل الضمير الحى . يقتل فيه الشجاعة ويعلمه الخنوع والخضوع . وكثرة الضرب تعود الطفل عدم المبالاة به . فبعد قليل يستعمله في سبيل إرضاء شهواته ورغائمه " وعلاقة وتفوت ولا حد يموت " وفي ذلك ما فيه من خطر على شخصيته وحساسيته وكرامته وعزة نفسه . والأم المحبة لنفسها هى التى تلجأ للضرب . فهو أسهل دواء مسكن للطفل الباكى . فهى لا هم لها إلا إبطال "دوشة الدماغ"

بأى شكل كان . . ولكن هل فكرت فى الحقد الذى تتركه فى نفسه إن كانت ظالمة له .
وفى كرهه لها إن كانت أساءت إلى حنانها عليه ، وهل فكرت أولاً لماذا يبكى وهل كلفت نفسها
إزالة أسباب بكاه ؟ . الأم العاقلة هى التى تلجأ فى إصلاح طفلها إلى طرق التربية الحديثة .
فهى تربيها كيف تفرس فيه العادات الحسنة وكيف تداوى العادات الأولى السيئة كالتيؤول
على النفس ، وعدم الانتظام فى النوم ، ورفض الطعام ، وكيف تمنعه من تكوين العادات الخاطئة
السيئة كالغضب والغيرة ، والكذب والمزقة ، والتشرّد وحب التخريب ، إلى غير ذلك من العادات
التي يتعرض لها كثير من الأطفال .

تؤثر فى تربية الطفل عوامل عدّة : أهمها البيئة التى ينشأ فيها . فالبيئة هى مرآة تعكس
كل شئ على الطفل ، فهو بمثابة عدسة حساسة تنعكس عليها جميع المؤثرات . فاعمالك
وحركاتك ومعاملتك لمن حولك وكل شئ فى بيئة الطفل ينطبع فى مخيلته الصغيرة ويترك أثراً
عميقاً فى طباعه ونفسيته .

وعلاقة الطفل العاطفية بالوالدين هى من أهم العوامل التى تؤثر فى تربيته وشخصيته .
يعتقد الكثيرون أن الطفل المولود لا حاجة له إلا إلى الغذاء الذى عليه يعيش . وبه ينمو
جسمه . وتقوى عضلاته . يفكر الناس دائماً فى الناحية الجسمية وينسون الناحية النفسية
التي عليها يتوقف نجاح الإنسان فى الحياة . الطفل الوليد جائع مهما أعطى من طعام . فنفسيته
جائعة ولا يشبعها إلا العاطفة والصدقة والحنان . كيف لا وهو الذى يطالب بحب أمه له
ومحافظتها عليه من يوم ولادته ، وما صرخته الأولى ساعة نروجه إلى هذه الحياة إلا نداءات
توقد لميب العاطفة فى صدر أمه كما يحرق دها لإحيائه . كيف لا وهو الذى يتطلب هذه
العاطفة بكل قوة وحرارة كما يتطلب جسمه الهواء والغذاء . العاطفة غذاء النفس ، والطفل
الذى يعيش محروماً منها لا يجد له ملجأ لتصريف أفكاره ولا يجد لشخصيته مكاناً فسيحاً
فى عالم وجوده .

ويتأثر الطفل تأثيراً مباشراً بالعلاقات الحية والمعنوية بين الوالدين ، فإذا ما اختل التوازن
العائلى بينهما وقعت الكارثة على الطفل الضحية ، وأصبح مشكلة من أعقد مشاكل الطفولة ،
وكم من أطفال شردوا وأجروا نتيجة ذلك الخلاف العائلى .

فالأمن والحماية والسلام هى من حقوق الطفولة المقدسة التى يجب أن تضمنها للطفل
فى جميع أدوار حياته الأولى . وطبعاً لا يمكن أن تضمنها له فى حياة عائلية مشوّدة متنازعة .
والاستقلال الفردى رغبة تسيطر على الطفل من بدء حياته فيجب أن نهئ بيئته بشكل
لا يعوق هذه الرغبة الطبيعية ، ويجب أن نعطيها الفرصة ليبيئ نفسه تهيئة استقلالية . فلا نشعره
بالإفراط فى الحماية والانتكال على من حوله .

الطفل محتاج إلى والدين يفهمانه فهما دقيقا . ويمهدان لكل خطوة من خطوات نموه بما يتفق وأصول التربية الصحيحة ، ويعطيانه من الفرص والحرية والتشجيع والإرشاد ما يفتح أمامه الحياة بما فيها من أمل وكفاح ، ويضربان له الأمثال من نفسيهما بما يقربه من المثل العليا ويعده أحسن اعداد لتأديته رسالة الحياة . الطفل أمانة في عنق الوالدين وعليهما أن يؤدباها إلى المجتمع كاملة ناهجة صالحة لخدمته . وكل نقص في هذه الأمانة يعود باللائمة عليهما . يجب أن يؤدبا ما للطفل من واجبات واحتياجات وخصوصا النفسية منها . يجب ألا يرضن الوالد على طفله بقليل من وقته فيخذ منه صديقا يجلس اليه ويلعب معه ويفسر له ما غمض عليه من أمور الحياة . يجب أن يبيحه بطريقة يفهمها عن كل سؤال يوجهه اليه . فذلك خير له من النقاط المعلومات الخاطئة من جهات أخرى . يجب أن يشعر الطفل بصداقته له وزوله لمستواه العقلي ، ففي ذلك فائدة كبيرة للطفل وللوالد ولل علاقة التي بينهما .

والقيادة الحسنة للطفل من أحق الواجبات على الوالدين . ويجب أن تكون سليمة مترفة عن كل هوى متمشية مع رغبات الطفل الطبيعية . فكثيرا ما نجد الأطفال يذهبون ضحية آباءهم وأمهاتهم . فالأم الحديثة العهد بالأمومة تنسى نفسها وتنسى حقوق طفلها عليها ، وتنغمس في تيار "تدليعه" وتدليه فيصبح بعد قليل دكتاتور المنزل ، إذا أمرا جيب . وإذا بكى قامت الدنيا وقعدت وجرى الجميع ليروا ماذا يريد . وإذا أراد أليعط بغير نظر إلى نتائج الإعطاء . وفي هذه الحالة ينقلب الطفل من مطيع إلى مطاع . ويفلت من أمه زمام قيادته ويصبح قائدا لا مقودا .

والأب الناشئ في مهنة الأبوة ينسبه حبه الأعمى لطفله واجبات القيادة والإرشاد فهو فرح به يضحك ملء شقيه إذا ما شتم أو ضرب فلانا ، ويفخر به أمام الأهل والأصدقاء ، فقد كبر الغلام ؟ ... وأول صدمة يلقاها هذا الطفل "الدلوعة" "وحيد أمه" هي مجيء طفل آخر في العائلة . فهنا ينقلب كل شيء في بيئة الطفل "التقديم" ويحول كل الاهتمام للطفل الجديد "والغريب" الجديد له تعلية "وهنا يتمرد الطفل الأول ويحتج بكل ما أوتي من قوة على هذه المعاملة الشاذة . ويبدأ في الحكم على من حوله بالتذبذب وعدم العدل في المعاملة ويدب فيه الحقد والبغضاء لأخيه الصغير ... ويظهر أثر ذلك فيما يأتي من أعمال الغضب والثورة . فلا ترضى بذلك الأم . وتبدأ في إملاء إرادتها عليه . وتظهر بمظهر الحاكم المسيطر . الذي يجب أن يأمر فيطاع . والطفل بدوره لم يتعود هذه الطاعة العمياء ، ويعجب في عقله الصغير : لماذا كل هذا التغير . . ويظل الطفل في عراك مع نفسه ونضال مع أمه وبيئته حتى يتغلب اليأس عليه ويقوده إلى طريق غير قويم . وهكذا ينقلب الإفراط في الحب إلى ضرر بالطفل . فالأم العاقلة هي التي تحكم عقلها قبل عاطفتها فلا تغمى عن مصالح الطفل لهذا الحب والحنان الكاذب . هذا الحنان الذي يجعل من الطفل شايبا جبانا لا يقوى على شق طريقه في الحياة . الأم الصادقة هي التي تنرس في طفلها روح الاستقلال . والاعتماد على

النفس . ومقابلة مشاكل الحياة بقوة وعزيمة وإقدام . الأم المخلصة هي التي لا تتعلق بطفلها لدرجة الجنون . فهي في الحقيقة تضره وتضر مستقبله وتجعله يحجم عن كل عمل يبعده عنها ولو إلى حين . فتعلقها به يقننه بالقليل في أحضانها عن الكثير في بتاع الرزق ، رضيه بالخمول يجانبها عن المجد والشرف بعيدا عنها . أعرف أسرة قريبة كان لها طفل عزيز أتم دراسته الابتدائية في بلدته من عشرين . وعند ما أتى موعد الدراسة الثانوية عارضت الأم في إبعاده عنها ، وساعدها الحظ بأن مرضت فعزت مرضها إلى تفكير ابنها في البعد عنها ، فظل يجانبها واضطر للدرس بمنزله حتى حصل على شهادة البكالوريا . وإذ ذاك أراد السعي في طلب الرزق فوفق إلى عمل وذهب إليه ولكنه لم يحتمل البقاء فيه أكثر من أربعة أيام ورجع إلى أمه هربا من قسوة الرؤساء ومن ألم الفراق ! وعاود الكرة ثلاث مرات ولكنه لم يفلح في شق طريق حياته وضمأن مستقبله وهو الآن يجانب أمه بعض أصبعه ندما على ما فاتته ولكن بعد فوات الأوان .

ومن المشاكل التي تقابل الطفل في المنازل مشكلة المثل العليا التي يراصد في قالبها . فمن الطبيعي أن كل والد يرغب أن يرى أولاده ناجحين في الحياة . ولذلك فهو يتصور مستقبل أطفاله حسب ميوله ورغباته . ويختط لهم خطط حياتهم حسب ما يشتهي ويتمنى . والوالد إن صادف نجاحا في حياته أو حياة ولده الأكبر فإنه يريد طفله الناشئ أن يضرب الرقم القياسي في النجاح . فيشد عليه ، ويستنكر تراخيه ، وهو لا يدري . فربما كان ذلك فوق طاقته العقلية والجسمية ، وربما أدى به الضغط إلى الضرر أو ربما كان توجيه الطفل ضد رغباته وميوله الطبيعية . جاء إلى في العبادة السيكولوجية طفل متأخر جدا في دروسه ولا يدري أبوه سبب تأخره مع تفوق أخيه الأكبر تفوقا عظيما على جميع أقرانه . وبعد فحص الطفل فحفا طبييا ونفسيا لم يتبين به خطأ يتسبب عنه ذلك التأخر ، اللهم إلا أن استعداده الطبيعي لم يوجه توجيهها صالحا ، وهو وإن لم يظهر نجاحا في دروسه النظرية إلا أن له مواهب طبيعية في نواح أخرى كان يمكن توجيهه إليها . ويجب على الوالد أن يعلم أن استعدادات الأطفال العقلية وطبائعهم وميولهم تختلف في العائلة الواحدة اختلافا متباينا ، ويجب أن يقدر ظروف كل طفل عند اعداده للمستقبل أعرف أولادا كثيرين خابوا لأن أولياء أمورهم لم ينههم وهم الفهم الصحيح ولم يوجههم الوجهة النافعة .

حضر إلى والد مع ولده الذي يبلغ من العمر ١٦ سنة والذي دأب على الخمول والهروب من المنزل والمدرسة ، وبعد فحصه لم يظهر به ما يريب في عقله ونفسه . وبسؤال الوالد ظهر أن له ميلا دينيا خاصا اشتد به أخيرا إلى درجة كادت تفقده صوابه فأصبح كل تفكيره ينحصر في هذه الناحية ، فقال إلى كل شيء يوجهه نحو هذا السبيل فلم يبق أمامه إلا ابنه الوحيد فأخرجه من المدرسة الإيطالية بعد أن قضى فيها بضع سنين وتشرب روح الفن والذوق

وأصبح مولعا بالرسم والتصوير إلى درجة كبيرة ، وكان لا يقضى أوقات فراغه إلا يشتغلا بهذه الفنون الجميلة ... ثم بعد ذلك يأتى الوالد وقد حبط عليه الوحى فى يوم وليلة ، يريد أن يعترض سبيل هذا الشعور والميل الطبيعى ويفرض على هذا الولد المسكين مالا طاقة له به . فيذهب به إلى المدرسة الدينية التى يريد لها ويشدد فى إملاء رغباته عليه ويضغط على شعوره ليحولها إلى هذا الطريق بالرغم منه . فماذا كانت النتيجة ... النتيجة طبعاً حروب الولد من المنزل والمدرسة واختلال توازنه العقلى والنفسى ... ثم بعد ذلك كله يأتى الوالد مستغنياً ما حل بانه ... ولو كانت الرجل عاقلاً لأمكنه بإرشاد بسيط تحقيق رغبته فى طفله ورغبة الطفل فى نفسه . فالتمسك بالدين لا يتعارض مطلقاً مع التمشى مع ميسول الشخص النفسية ومواهبه الطبيعية ، بل ربما أدى به الدين إلى الاخلاص فى عمله واتقانه والعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً .

وكم من آباء يجبرون أولادهم على الالتحاق بأقسام ليس لديهم الاستعداد الكافى لها فأمل الأب الوحيد أن يرى ابنه طبيباً بأى ثمن ، فيرغمه على دخول القسم العلمى رغم ميله الطبيعى للواد الأدبية . فيدخل الولد ويجهد ويكافح ويقضى سننى الدراسة مضاعفة ، ثم لا يتمكن أخيراً من الحصول على المجموع الكافى لدخوله الطب فيدخل الهندسة بعد أن خاب فى أولى أمانيه . وصرعان ما يجد نفسه فى عالم غير عالم العلم الذى يهواه فيصارع الأرقام وهى تصارعه ، وأخيراً تصرعه فيخرج لا يلقى على شىء ، وقد خاب أمل الجميع فيه وخصوصاً أمل الوالد المسكين .

وقد أثبتت الحالات الكثيرة التى تشاهد فى الأطفال كل يوم ، والتى تأتى إلينا كثيراً فى العيادات السيكولوجية أن الخطر كل الخطر على مستقبل الطفل أن نسير حياته وفق أهوائنا بغير نظر إلى ميله الطبيعى وشعوره الخاص . فالطفل الذى ينشأ بطبعه ميالاً إلى الأعمال اليدوية والميكانيكية من الظلم أن نرغمه مثلاً على دخول المدارس الثانوية أو الاشتغال بالأعمال العقلية . فما فى ذلك إلا إرهاب له ومضيعة لوقته وكبت لمواهبه الطبيعية وخسارة على أهله وعلى المجتمع . أما الأب الذى لم يشبع رغبات شبابه فى التعلم ويريد أن يمد ابنه له ذلك الفراغ فى نفسه فهو أب جاهل ويجب إرشاده إلى ما فيه خير الطفل بصرف النظر عن تطلعاته وتطلعاته .

لقد جرتنا الحديث إلى ذكر بعض الحالات التى تصادفنا فى مشاهداتنا العلمية . وكل غرضنا أن ننير الطريق أمام الآباء والأمهات إلى أحسن الوسائل لتربية الأطفال تربية علمية صحيحة حتى لا يصادفهم فى أطفالهم ما يصادفنا فى مشكلات الأطفال ، وحتى تتعاون جميعاً على إعداد جيل صحيح قادر على إنقاذ هذا الوطن العزيز .

زاهية مرزوق